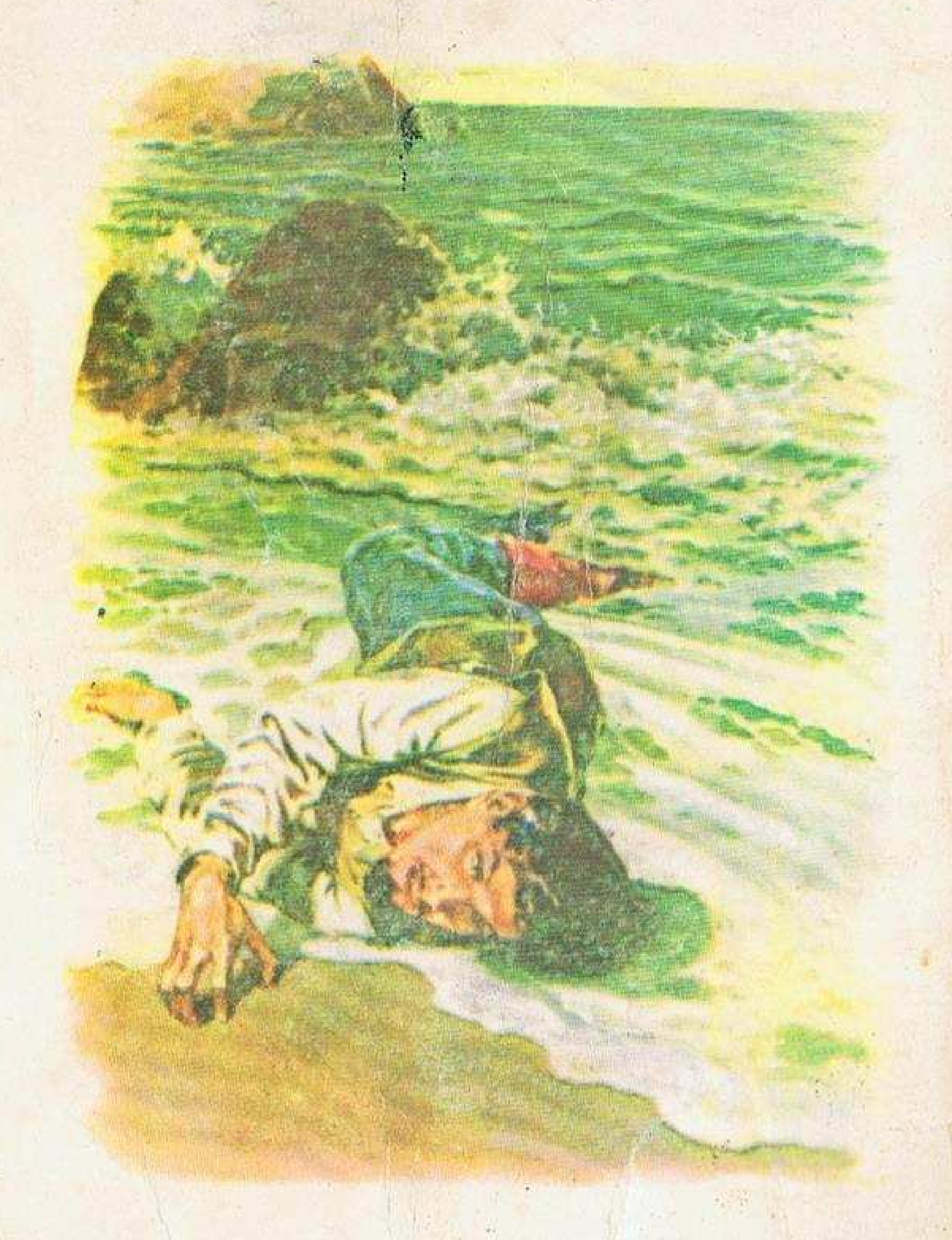
روبنسون كروزو



سلسلة الرّياض الزاهرة

منشورات مكتبة سمير

تلفون : ٤٤٦٠٨٥ – ٤٤٨٧٩٩ – ٤٨٢٥٤١/٢
تلكس : ٤٠٤٠٥ SAMIR LE ، بيروت ، لبنان

سلسلة الرّياض الزاهرة

٤ - روبنسون كروزو

مقتبسة عن الانكليزية

منشورات مكتبة سمير
بيروت - شارع غورو - هاتف : ٢٢٦٠٨٥

طبعة جديدة — ١٩٨١

نداء البعيد

كان البحر دائماً يجتذبني اليه منذ حداثتي الأولى. مع ذلك، لم يحالفني الحظ بأن أسافر في البحر لأوّل مرة، قبل الثامنة عشرة من عمري، مخالفاً إرادة والدي في هذا السفر. لكن، منذ ذلك الحين لم أنقطع عن الأسفار قط.

ذهبت إلى افريقيا، ثُمّ الى البرازيل حيث أقمت بضعة أعوام اشتغل بالزراعة.

ثُم رحلت ثانية الى أفريقيا لشراء أرقّاء يشتغلون في الأرض التي اتخذتها للزراعة. وكان ذلك في اول ايلول سنة ١٦٥٩.

أمّا العاصفة التي ثارت بعد اثني عشر يوماً من السفر، فليس عندي كلام يصف شدَّتها وعنفها.

فقد هاج البحر هياجاً لا حدَّ له، وراح يتقاذف مركبنا نحو شواطىء غينيا.

في الصباح الذي تلا ذلك اليوم الهائل، صرخ أحد البحّارة بغتة صراخ الاستغاثة:

في تلك اللحظة اصطدمت السفينة بكثيب

من الرمل تناثر علينا تناثراً مخيفاً، فلم نتمكن من بعدها، من استعمال السفينة. ولم يبقَ لنا إلّا أن نحاول النزول الى البر.

فألقينا عندئذٍ زورقاً في البحر، فكان علينا أن نغامر مغامرة اليائسين حتّى تمكنّا أن ننزل اليه.

وما كدنا نسيرُ فيه، حتى هاجمتنا موجة هائلة رفعتنا الى الأوج، وضعتنا في زبدها، ثُمَّ هبطنا الى جوفها القاتم.

فانقلب الزورق بنا، وتفرقنا بين الأمواج هنا وهناك، لا يدري واحدنا ما مصير الآخرين.

جزيرة الخلاص واليأس

وتقاذفني المدُّ على الشاطىء، بين واعٍ وغائبٍ عن الرشد. فكنت أحاول النهوض، لأرتمي من جديد على بعد بضعة أمتار.

رحت أسرح النظر باحثاً عن رفقتي، فلم استطع أن أرى أحداً. هل ماتوا جميعا؟ أخيراً، عثرت على ثلاث قبعات وحذائين قد تناثرت متباعدة على رمال الشاطىء.



فاستولى عليّ حزن شديد، وتحققت في الحال، ما صرت اليه. لم أكن أملك إذ ذاك، غير سكّين وغليون، وقليل من التبغ! فرحت أمشي على غير هُدىً مثل انسان أبله، أبحث عن مكان أبيت فيه حين يأتي الظلام، فانتهى بي المطاف الى شجرة تسلقتها وبتُّ ليلتي بين فرعين من فروعها.

ولم استيقظ حتى كانت شمس الصباح قد أصبحت في الضُّحى، وكان البحر قد عاد هادئاً. فتمكنت أن أرى مركبنا غيرَ بعيد عن الشاطىء: ان المدَّ المتصاعد قذف به الى كثب. فرحت أفكر في العودة اليه.

نزعت عني سترتي وصداري فألقيتها على الرمل ، ورميت بنفسي في الماء . وبواسطة حبل كان طائفاً ، استطعت أن أتسلّق الى المركب . كان مقدّمه غارقاً في الرمل ، بينما المؤخّر يبدو شاخصاً نحو السماء ؛ غير أن السطح كان جافّاً لم يذهب شيء ممّا كان عليه .

استخدمتُ الصاري الذي حطّمته العاصفة ، فَجَعَلْتُ منه طَوفاً نقلت عليه الى البر كلَّ ما وقعت عليه يداي ، من مؤونة وسلاح ، وأدوات وبعض ملابس .

كان عليّ أن أستعين ببعض مجاذيف قديمة محطمة متروكة في زاوية منفردة لأعود الى

اليابسة . وقد ساعدني الحظ بتيّار ضعيف حملني الى البر .

تسلحت ببندقية وبارود ومسدس ، ومضيت اكتشف الأماكن . فتسلقت قمة جبل يبتعد مقدار كيلومتر عن الشاطىء ، فتبيّن لي أني نزلت في جزيرة كلُّ ما يدور بي من الوجود كان بحراً في بحر .

رحت في الأيّام التالية ، أزور المركب مرة بعد مرة ، وفي كلّ مرة كنت أعود بأشياء متنوّعة من أغطية ، وفراش ، وكتب ، وورق ، ومسامير ، وأخيراً عدتُ بصوان أفدتُ منه كثيراً ، إذ خبّأتُ فيه كلَّ كنوزي الثمينة .

في اليوم الحادي عشر ثارت ريح شديدة، واربدَّ وجه السماء. وما طلع الصباح التالي حتّى تلاشى المركب، ولم يَبقَ له أثر.

*

التجارب الأولى

كان من الضروري أن أجدَ لنفسي مَقرّاً فنصبت صواني (خيمة) في سفح صخر عالٍ، واجهتُهُ مجوَّفة كأنَّها مغارة. ورسمت حولها نصف دائرة، وجعلت على نطاق الدائرة سياجاً مضاعفاً من أوتاد مروّسةٍ ومكّنتها بحبال. وزيادةً في الاحتياطِ من الخطر لم أفتح لمسكني هذا باباً،

بل كنت أدخله بواسطة سلّم. وقد وضعت علب البارود وكل ما يختص بالمؤونة في التجويف داخل الصخر.

وفي تجوّلي في أنحاء الجزيرة، اكتشفت أنها مَربعٌ لقطعانٍ من الماعز البرّي قيّضت لي أن أحصل دائماً على لحم طازج.

ولكي لا أضيّع معالم الزمان، غرست على الشاطىء صليباً من الخشب، واتخذت لي عادةً: أن أحفر بالسكين خطّاً عليه، كان كلّ حزٍّ بالسكين يمثلُ يوماً.

وكنتُ اغتنم وجود الحبر، فرحت كلَّ يوم

أُسطّرُ يوميّاتي ذاكراً كلَّ حدث يجري في تلك الحياة الفقيرة: كصناعة مائدةٍ أو كُرْسيّ مثلاً.

كان برنامجي اليوميّ ثابتاً قلّما يتغيَّر: فالصيد أوَّلُ نشاطٍ أقومُ به في الصباح، يلي ذلك اعداد طعامي، وبعد الطعام آخذ نصيباً من الراحة.

وفي المساء أعود الى أشغالي المتنوعة على ضوء مصباحٍ كان زيته من شحم الماعز الذي كنت أحتفظُ به لهذه الغاية.

بعد نزولي بثلاثةِ أشهر على أرض الجزيرة حصلت عجيبة الحَبِّ.

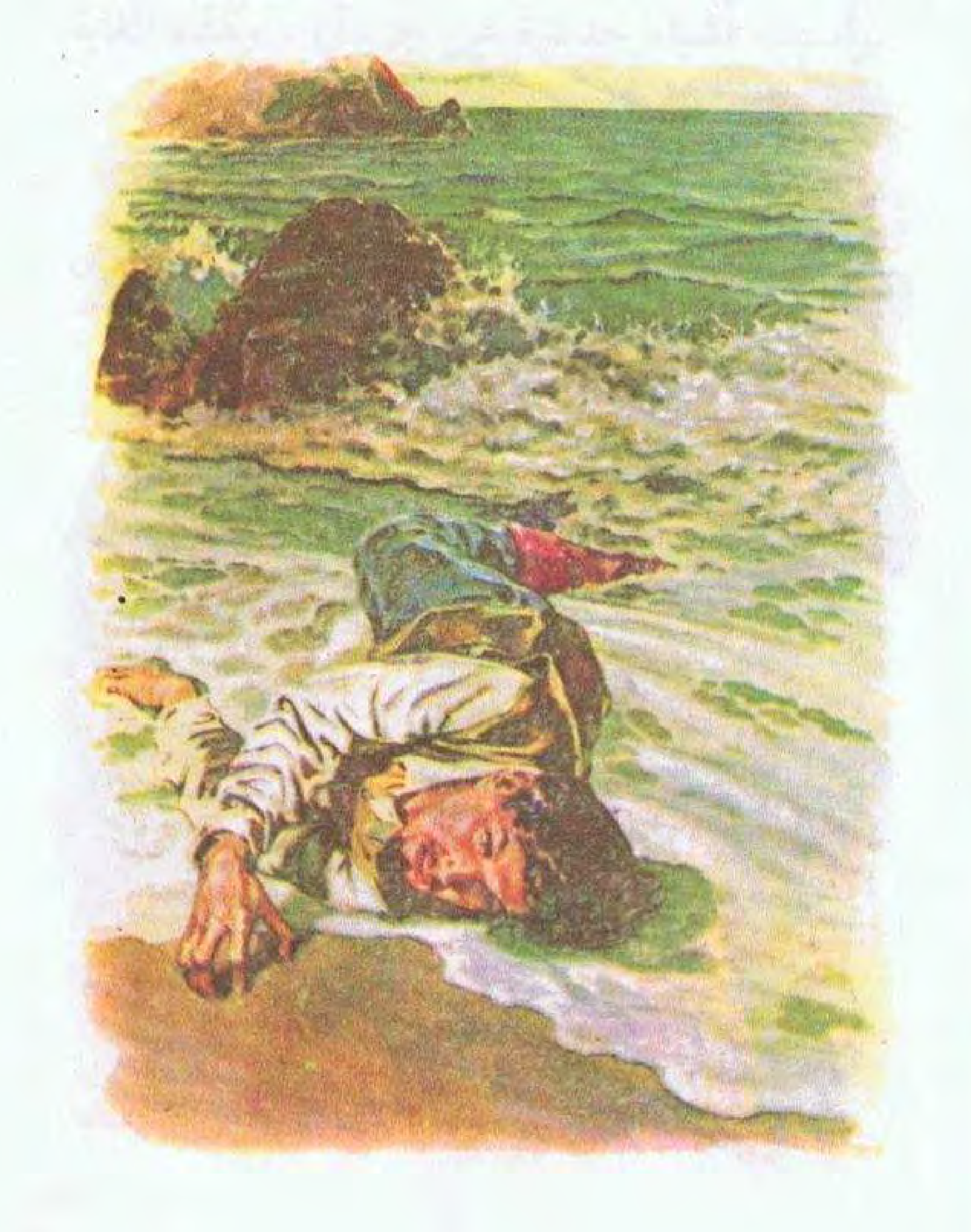
كنت من قبلُ، قد عثرت على كيس من

الحبّ كان بعضُه قد أصابه العفن ، فنثرتها خارجاً بلا مبالاة . غير أنني في نهاية فصل الأمطار ، رأيتُ قربَ السياج نباتاً أخضر طريئاً قد ظهر على وجه الأرض . فظننته أوّلاً شعيراً ولم يمضِ وقت طويل ، حتّى بدا لي من سوقه أنّه نباتُ حَبّ الرُّز .

تلك الحبوب التي اعتقدت بانها فاسدة ، هي التي نبتت : ان هذه العجيبة فتحت عينيَّ على آمال جديدةٍ ومشاهدَ حبيبةٍ للنفس .

صبر وبراعة

رغبت في ذات يوم أن أتعمق في اكتشاف جزيرتي ، فعثرت على أشجار مُثمِرة ليس في القسم الشمالي الذي أقيم فيه شيءٌ منها . وجدتُ عنباً ، وليموناً ، وبرتقالاً ورمّاناً . قامت في نفسي رغبة في بناء مسكن لي في تلك النقطة الخصبة الضاحكة من الجزيرة التي تشبه بستاناً متنوع الأشجار ، لكني لم استطع أن أتخلّى عن مسكني الأول .



فقررت أخيراً إنشاء نوع من مزرعة ، حيث كنت أقضي أشهر الصيف ، وأجفف الأثمار لفصل الشتاء .

ثم وسَّعتُ أيضاً حقل نشاطي :

فقد تعلمت حياكة السلال ، وصناعة الخزف (الفخار) والخبز الذي كنت أقتاتُ منه هو أيضاً من اختراعي . فقد توصلت الى صنع آلة من الخشب أسحق بها الحبوب التي تُنْتجها زراعتي ، فاصنع منها خبزي الضروري .

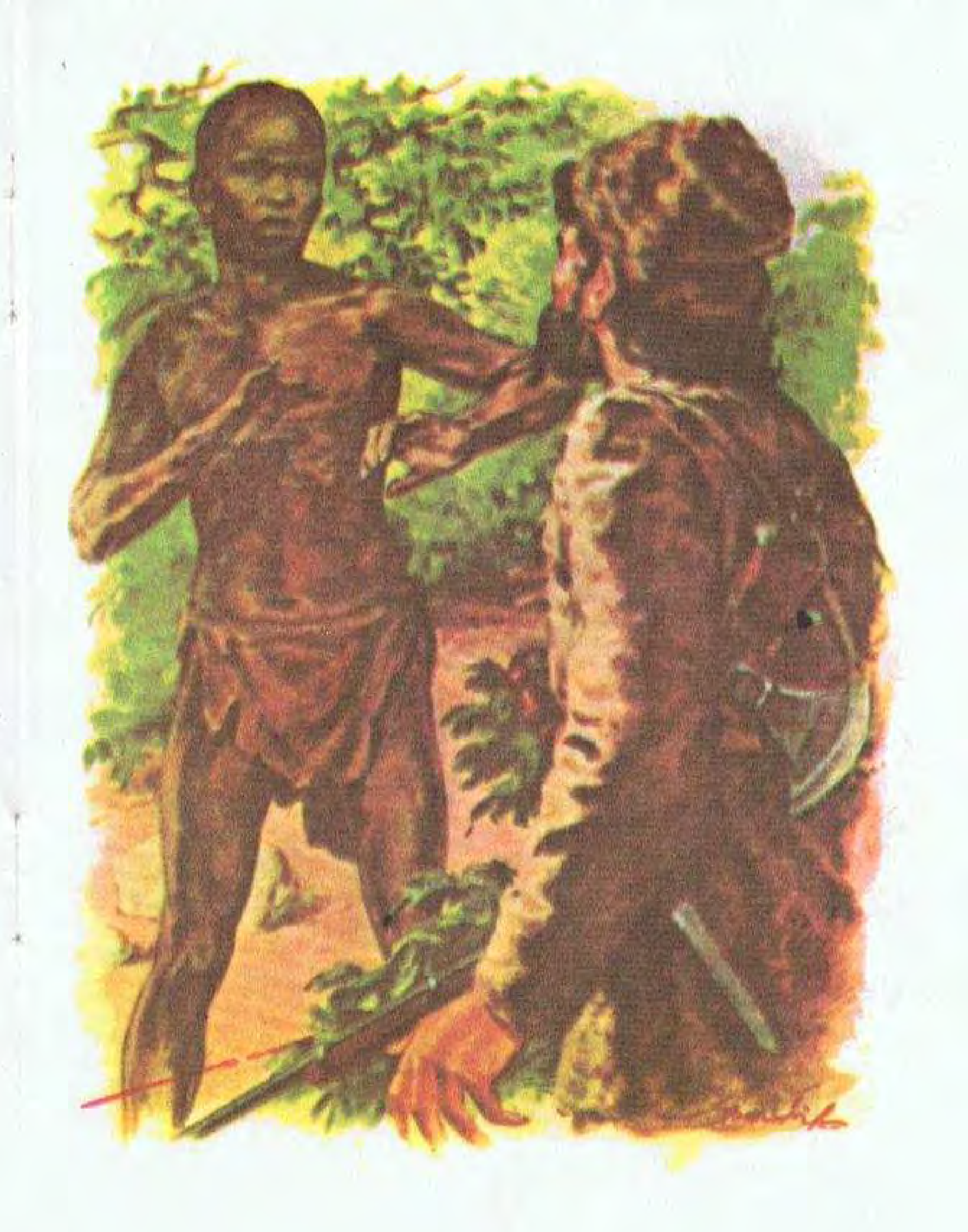
خطر لي أيضاً أن ابتني زورقاً لأعرف

بواسطته أشياء جديدة عن جزيرتي ، ولهذه الغاية قطعت أرزة حَسَنة من نوعِ أرز لبنان.

وكان عليَّ أن افكّر بكسوتي من قدمي حتّى قمة رأسي. فصنعت قبعة ، وسترة ، وسراويل ، وصنعت كذلك مظلة ، كلّها صنعتُ من جلد الماعز تحميني من المطر والشمس معاً.

ومن الأمور التي نجحت فيها أخيراً ، قطيعٌ من الماعز. فلكي لا اتلف ما عندي من البارود ، رأيتُ أن أربّي أعنزاً أتموّنُ بلحمها الطازج بدون أن اجهد النفس في الذهاب الى الصيد.

وهكذا ، استطعتُ أن أقبضَ على جَديين :



ذكرٍ وأنثى ، فحبستهما في صيرة ، ورحت أعتني بهما حتى صارا أليفين. وما مضى عامانِ حتّى صار عندي قطيع من ثلاثة وأربعين رأساً.

كان الوقت يمضي في هذه المشاغل.

غير أنّي كنتُ أشعر بالوحدة أحياناً ، عندما أفكّرُ في أنَّ من المحتَملِ أن أقضي باقي العمر في هذه الجزيرة الموحشة. ولا ألبث أن أعودَ فأتعزَّى اذ أُفكّر في ما صرت اليه من براعة في صناعة اشياء أجد فيها سلوةً في هذا المنفى.

الرعب الأول

في ذاتِ مرة وأنا أدور حول الجزيرة مستكشفاً ، تركتُ زورقي يرسو على الشاطىء بعيداً عن مسكني. عدت اليه فوجدت أثر قدم حافية ، نعم ، أثر قدم انسان!

وقفت هناك ذاهلاً. رحت انظر الى كل جهة حولي ، مُرهفاً اذني ، وتسلّقت التلة لاتحقق ما في جوارها ، وعدت الى الشاطىء دون أن اقع

على أيّ أثر. ثُمّ عُدْتُ أخيراً الى كهفي مسرعاً، ناظراً بين حين وآخر الى ورائي، بكثير من الحذر والخوف.

لم يغمض لي جفن طول ذلك الليل. ليس هنالك شك بأنه أثر أحد البرابرة من سكان الجزر التي كانت تبدو لي على مرمى النظر مواجهة لجزيرتي. وقد لبثت ثلاثة أيّام مغلقاً على نفسي في حصني، ثُمّ عاد الهدوء الى نفسي شيئاً فشيئاً.

كان من المناسب أن أقوم بحركة. فقويت السور التي حول مغارتي، وحضّرت بندقيتي. كان عليّ أيضاً أن أجد مرعى لقطيعي. فخرجت

الى اكتشاف الجهة الجنوبية الشرقية من الجزيرة التي لم أكن قد زرتها بعد، فاذا بي اقف فجأةً مرتعداً من الخوف. فقد رأيت هناك على الرمل جماجم بشرية وبقايا عظام حول كومة من الرماد. كانت تلك فضلات وليمةٍ لأَكَلَةِ لحوم البشر! فرحت أركض مذعوراً.

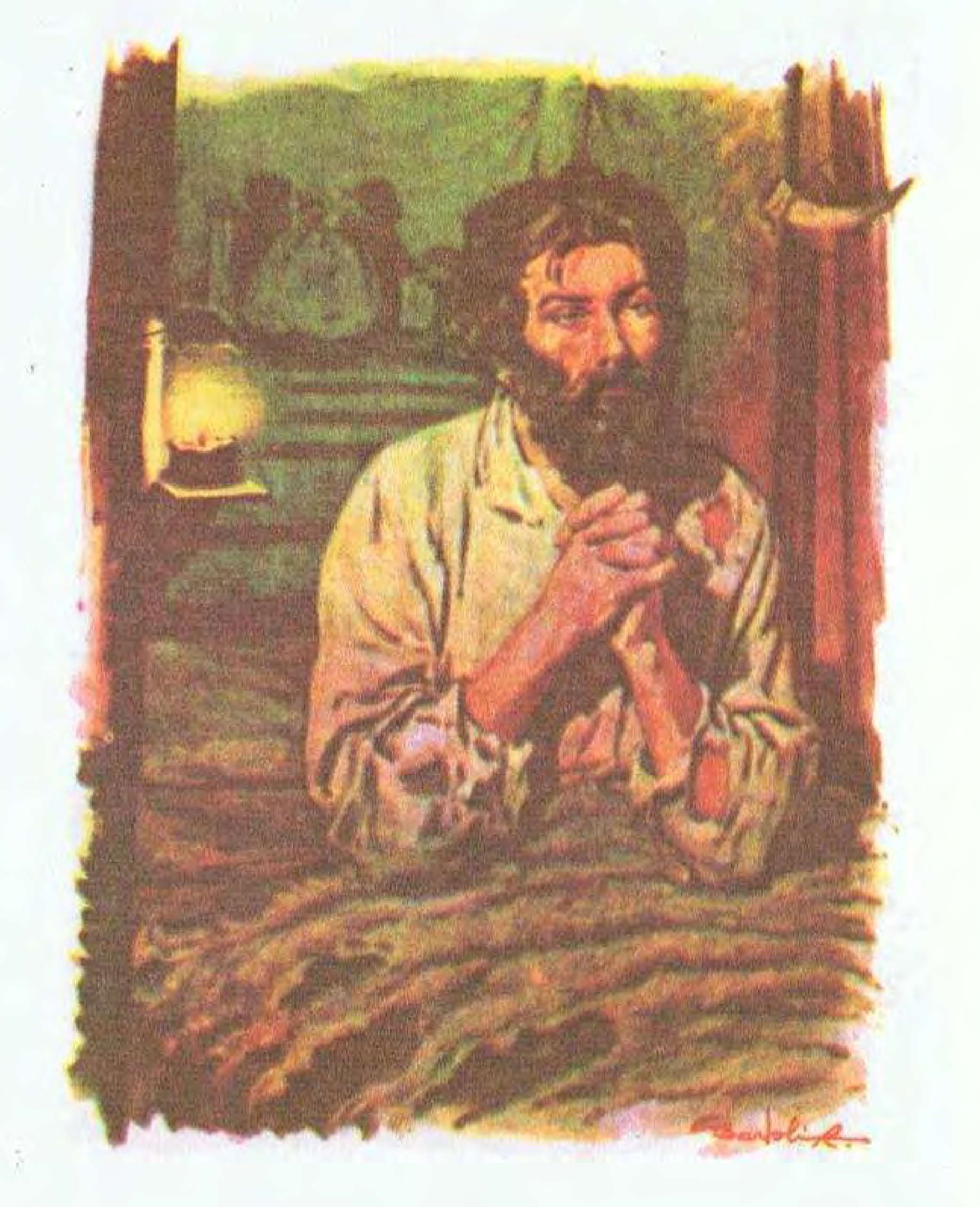
وأدّى بي التفكير في أني لم أرَ منذُ ثمانية عشر عاماً أثراً لبشريّ، دلالة على أنَّ هؤلاء المتوحّشين لم تطب لهم الاقامة في داخل الجزيرة. مع ذلك، لم أذهب في مغامرتي إلى أبعد، وصرت أتحاشى أن أطلق بندقيتي لِئَلاّ يسمعها أَكَلَةُ لحوم البشر.

كان قد مضى أربعة وعشرون عاماً على اقامتي في الجزيرة، اذ لمحت في ذات صباح جميل ناراً على الشاطىء تحلّق حولها عددٌ كبير من المتوحِّشين مَشغولين باقامة وليمة. وقد أدركتُ أنهم كانوا ينتظرون صعودَ الموج وتقدمه ليمتطوا البحر. أخيراً، انتهت وليمتهم، فما لبثوا أن أقلعوا على أطوافِهم.

هذا الحدث له علاقة بالماضي، وذلك لمّا سمعت في آخر ليلة عاصفة صوتاً مثل صوت مدفع آتيا من جهة البحر. فتسلقت إذ ذاك الجبلَ فرأيت على بعد نوراً. فحسبت أنَّ زورقاً في خطر، فأضرمت ناراً قويَّة ورحت أُصغي.

وفي الصّباحِ استطعتُ أن أُميّز فضلاتِ أشياء يتقاذفها الموج. وثبتُ الى زورقي، وعزمتُ على الاقترابِ منهم. ولم تمضِ ساعتان حتّى أدركتُهم.

كان المركب مثقوباً من أمام، وقد اقتُلِع عدد من الصواري. وعلى الشاطىء وجدت مؤونة متنوعة وكلباً وحيداً، ولم أرَ أيَّ بشري. فعدت بصحبة الحيوان الى جزيرتي.



جُمعه

أَخَذَتْ رغبتي في ترك الجزيرة تشتدُّ يوماً فيوماً. فبعد سنين عديدة من الصمت الإجباري، تاقت نفسي الى الكلام مع انسان. وشيئاً فشيئاً أَدركت أن ليس ثَمَّةَ إلاَّ سبيل وحيد لتحقيق هذه الرغبة: وهو أن أتمكَّن من القبضِ على واحدٍ او اثنين من اولئك المتوحِّشين الذين يُحكَمُ عليهم بأن يكونوا وليمةً لِأَكَلَة لحومِ البَشَرِ، فاحصل بهذه الواسطة على أيد تساعدني

في بناء مركب شراعي به يكون خلاصي من تلك العزلة المُوحِشَة.

في ذات يوم وصلت خمسة قوارب، توقفت على شاطئي. فترجّلَ منها ما يقارب الثلاثين من أولئك المتوحشين يجرّون أسيرين بائسين.

وتقرر مصيرُ الأول، وكان الثاني ينتظر ايضاً مصيره هو الآخر. غير أنَّه اغتنمَ فرصة انشغالِهم برفيقه وفرَّ هارباً. فانطلق في أثره اثنان فقط من أَكَلَةِ لحوم البَشر.

فعزمتُ أن اقومَ بحركةٍ ما. وهكذا، اندفعت



معترضاً طريق ذَينيكَ الراكضين وراء الضحيّة فأشرتُ إلى ذاك الأخير أن يَقفَ. وصوَّبتُ بندقيَّتي الى المتقدّم وراءه، فصرعته بطلقة واحدة. وحاول الثاني ان يرميني بسهم، فصرعته كذلك برصاصة واحدة.

أمَّا ذلك المسكينُ الهاربُ من الموت الذي استولى عليه الذهول أَوَّلَ الأمر، وقد أدركَ في الوقت نفسه، أني لا أريد به شرّاً، فقد ترامى على قدميّ متمتماً بكلام غير مفهوم معبّراً عن استسلامِهِ وشكرانه. فسرت به الى كهفي حيث قدّمتُ له طعاماً وشراباً.

كان في نحو الخامسة والعشرين من العمر، طويلَ القامة قويّ الجسم، ذا شعر مجعّدٍ اسود، وجبهة عريضة، وعينين نافذتين لامعتين، وكان زيتيّ البَشَرةِ بأنفٍ صغير عاديّ الشكل.

انصرفتُ منذُ ذلك اليوم، الى تعليم جمعه وتهذيبه، وهو اسم اطلقته عليه ذكراً لليوم الذي انقذته فيه. علّمتُهُ ان يفهَمَ لغتي ويلفظ اسمي، وكسوته بثياب مثل ثيابي، كما علمته ايضاً ان يشتغل بالزراعة.

أمَّا انا، فرحت أَتفَهَّمُ لُغَتَهُ شيئاً فشيئاً، ومنه عرفت اسم الجزيرة التي كانت تظهر لي في الأفق، وهي ترينيداد! وعرفت منه اخيراً بوجود

«البيض» ذوي اللّحى الطويلة، الذين قال لي عنهم انهم قتلوا كثيرين من الملونين، ثُمّ فهمت أنه يعني المستعمرين الاسبان.

*

العصيان

كانت ثلاثة اعوام قد مضت على وجود جمعه معي. لمّا جاء في ذاتِ صباح يوقظني مُشيراً الى وجودِ مركب في البحر.

فتسلقت الجبل لأتحقق الخبر. وإذ سرّحت النَّظَر بعيداً، رأيْتُ مركباً بدا لي أنه انكليزي، قد اصبحَ في نقطةٍ تكاد تكونُ في وسطِ الشاطىء.

لا أدري لماذا قام في نفسي شعور كئيب منعني من الابتهاج .

كان المركب في هذه الآونة ، قد ارسى على الشاطىء . ترجّل منه أحد عشر رجلاً ، بينهم ثلاثة رجال مكتّفين ، مجرّدين من كل سلاح . فأثار هذا المشهد تعجبي . ثمّ تُرِكَ هؤلاء الثلاثةُ المساكينُ على الشاطىء ، بينما انتشر الآخرون ، كما بدا ، للتعرّف على الأمكنة .

كان عليّ ان اقوم بمبادرة . فاقتربت من الاسرى الثلاثةِ . ليتصوّر القارىء وقع المفاجأة عليهم ، وما اعتراهم من الخوف لرؤيتي !

وهتف بهم على الفور :

— قولوا لي ما يمكنني أن اصنع لانقاذِكم ؟

اجاب ذاك الذي بدا لي انه ذو شأن مُوْضحاً أنّه كانَ رئيساً على المركب الراسي هناك ، وأنّ بحارته تمرّدوا عليه ، فعزلوه من مَنصبِه وحكموا عليه أن يترك في هذه الجزيرة مع احد معاونيه وواحد من المسافرين على المركب .

وتم الاتفاق فيما بيننا على أن يأخذني انا وجمعه في مركبه الى الوطن ، اذا انقذته من المتمردين وأعدت اليه سلطته .

وهكذا حللت قيود الثلاثة وأتيتُهم بسلاح .

فلمّا عاد المتمردون قابلناهم بالرصاص ، فقُتل اثنان منهم على الاثر ، والتمسَ الآخرون العفو ، فأُقيم جمعه رقيباً عليهم .

ما كدنا نحاول ايقافَ المركب عن الابحار ، لئلّا يهرب بمن فيه حتّى صدرت منه طلقة مدفع داعياً البحارة الى العودة اليه .

لا شكَّ أنَّ أحداً لم يجاوب على النداء . فأُنزل قارب آخر الى البحر.

ولمّا وصلَ من فيه الى البر لم يتعجّبوا ممّا رأوا . فانتشروا يبحثون عن رفاقهم .

في اول الليل عاد الجميع الى مراكزهم ،

وكنا بانتظارهم متأهبين بالسلاح ، فصعدوا دون أيّ حادث .

وفي منتصف الليل ، عاد عشرة من الاسرى فاعلنوا الخضوع للقائد دون أن يثيروا ايَّ شكّ .

وهكذا انتهت مقاومة زعيم المتمردين ، وعاد المركب تحت سلطة قائده الحقيقي .

وداع الجزيرة

سبع طلقات من المدفع اعلنت نجاح الخطة وبغبطة كبيرة صعدت الى المركب الذي سيحملني في جماعة من المتدنين.

صعد معي الى المركب رفيقي الأمين جمعة، حاملاً معه المظلة التي صنعتها من جلد الماعز ذكراً من الجزيرة.

رفع المركب مرساته عن شاطىء تلك الجزيرة

في صباح التاسع عشر من ايلول سنة ١٦٨٦. وكانَ سروري في ذلك اليوم لا حدّ له.

لقد قضيت في تلك الجزيرة سبعةً وعشرين عاماً وشهرين، وتسعة ايام.

وعدت الى انكلترا في الحادي عشر من حزيران حيث عرفت قيمة كهولة آمنة.

الأسئلة

١ — أ : ما الذي كان يجتذب روبنسون كروزو من حداثته ؟

ب : إلى أين كان متجهاً روبنسون كروزو عندما ثارت العاصفة ؟

ج : ماذا حدث للسفينة التي كان يركبها روبنسون كروزو ؟ وكيف وصل الى الشاطىء ؟

٢ — أ : ماذا حلّ برفاق روبنسون ؟

ب : أين بات ليلته الأولى ؟

ج : ماذا رأى في اليوم التالي ؟ وما فعل ؟

د : ماذا كان يفعل في الايام التالية ؟

هـ : ماذا نصَب لنفسه ؟

و : ما هي الطريقة التي اتبعها لمعرفة عدد الايام التي سيقضيها في تلك الجزيرة ؟

ز : ما كان نوع الحبوب التي نبتت حول السياج ؟ وهل أثر ذلك على نفسه ؟

٣ــ أ: ماذا وجد أخيراً من الأثمار؟

ب: ممّ صنع كسوته؟

ج: ما نوع الحيوانات التي رباها عنده؟

٤ــ أ: ما هي الآثار التي وجدها ذات يوم على أرض الشاطىء؟

ب: هل أخافه ذلك؟

ج: ممّ ارتعد عندما زار الجهة الجنوبيّة الشرقية من الجزيرة؟

د: ماذا رأى عندما تسلق الجبل؟ وماذا وجد؟

٥ــ أ: مَن وجد أخيراً رفيقاً لهُ؟

ب: ما كانت جنسية المركب الذي كان راسياً على الشاطىء؟

روبنسون کروزو

